

## الخطبة الخامسة والستون

﴿ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: 2 / 187]

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم آمين.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: 1 / 4]، لقد خلقنا الله من نفس واحدة، وكرمنا سبحانه وتعالى، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 7 / 189]، فأكد الله تعالى المعنى أننا خلقنا من نفس واحدة، وزاد سبحانه وتعالى وقال: ليسكن إليها، السكنى بالزوجة الصالحة، السكنى مكان الراحة، مكان المتعة، مكان السعادة، السكنى هي المأوى، هي الملاذ. هذه هي الصفات التي يجب أن تقدمها المرأة إلى زوجها، يجب أن تتحلى بهذه الصفات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خير النساء التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره» حم - ن - ك.

ودخلت أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله ﷺ أنا وافدة النساء إليك: إن الرجال فُضِّلوا علينا بالجمع والجماعات، وعبادة المرضى، وشهود الجنائز والحج والعمرة والرباط، قال عليه الصلاة والسلام: «انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء، أن حُسنَ تبعل إحداكن لزوجها وطلبها لمرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله» ابن عساكر - حديث حسن، أي يعدل الجمع والجماعات وما ذكرته من الفضائل للرجال.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: 21 / 30]، لقد كرر الله سبحانه معنى

السكنى في هذه الآية، وقال بعض أهل العلم: إن في الآيتين [الأعراف: 7 / 189]، [الروم: 30 / 21] جاءت: ﴿لَيْسَكُنَّ إِلَيْهَا﴾، ﴿لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾، فكرر: (إليها)؛ لأنها هي المصدر وهي أساس السعادة والهناء والراحة، وقد شرح رسول الله ﷺ ذلك بثلاثة أمور:

1. حُسن التبعل.
2. مرضاة الزوج.
3. موافقته. فلا مشاكسة ولا نكد ولا تذمر ولا شكوى، وتصلح أموره وأمور أولاده وأمور بيته. ولا يفهم من هذا أن المرأة خادمة للرجل كما يريد البعض شرح الحديث بشكل مغالط، لا، ولا يعني الحديث والعياذ بالله: أن الرجل مهما فعل فعلى المرأة إطاعته؛ قال عليه الصلاة والسلام: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» الترمذي عن عائشة رضي الله عنها، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير أو ليسكت، واستوصوا بالنساء خيراً» رواه مسلم. أي: إن الرجل لا يتكلم بسوء ولا يتهم زوجته بسوء، وليسأل إذا رأى ما يريه، وأمره عليه الصلاة والسلام بأن يستوصي بالنساء خيراً، وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها غيره» مسلم - حم.

قوله ﷺ: (لا يفرك) أي: لا يدقق ولا يعيب ولا يتغالظ ولا يشمت ولا يتذمر ولا يضجر، لأنه لا إنسان كامل، وهو نفسه له سلبيات وإيجابيات وكذلك هي فهما بشر، وهي مثله وكل الناس فيهم الخير والشر، وكلمة: لا يفرك صعبة؛ لأن المعنى مُضْمَر، فأنت تفركُ الثوبَ وتفركُ الحَبَّ، والمعنى -والله أعلم-: أنك لا تضايقها ولا تزعجها حتى لا يظهر منها ما يضايقك وما يزعجك ولا تحرجها حتى لا يظهر منها سوء أو انتقام أو ضغينة. قال ﷺ: «تزوجوا الودود الودود فإنني مكاثر بكم الأمم» (أي: يوم القيامة)، أبو داود والترمذي.

قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةٌ اللَّيْلِ الْأَصْيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ﴾  
 [البقرة: 2 / 187]، قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِيَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ﴾. اللباس هو: الستر، اللباس هو: الواقفي. عمّم هذا المعنى وافهم منه ما تشاء، فهي ستر لك فلا تفضحك ولا تُظهر عيوبك، وتعينك بأن تحصنك، فهي ستر لك عن الحرام، وهي واقية لك تحميك وتعينك وتساعدك، تحبك وتدخل السعادة على قلبك، وأنت كذلك. والسؤال المهم الذي يجب أن تواجهه هو: هل أنت كذلك؟ هل أنت ذلك الرجل الذي يحميها ويسعدها ويعطيها الثقة والحب والحنان؟ أم أنت لاهٍ في شغلك ومع أصحابك، ولسانك مُطلق وعيناك مُطلقة، والباقي تعرفه، ثم تطالبها بما لا تقوم أنت به؟ فلتتق الله في أنفسنا ولتتق الله في أزواجنا وأولادنا. حقوق لنا وحقوق علينا، فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعاجلها حتى تقضي حاجتها» أبي يعلى - مصنف عبد الرزاق. وعن ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» مسلم، وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحتة في نفسها وماله» ابن ماجه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «دينار أنفقته في رقة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك» م - د.

وهناك حديث جميل جداً، وهو: عن كعب بن عجرة أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الله في الجنة، ألا أخبركم بنسائك من أهل الجنة، الودود، الولود، والعوود التي إذا ظلمت قالت: هذه يدي في يدك لا أذوق غمضاً حتى ترضى» الطبراني والدارقطني.

هذا الحديث فيه نقاط أساسية؛ فلقد عدد عليه الصلاة والسلام الرجال

وأنواعهم في الجنة، ثم أخبر بالنساء، قال بعض أهل اللغة: إن الأمثال تُضرب وذلك للتشابه بينها، فأنت لا تقارن تفاحة برتقالة، وإنما تقارن تفاحة بتفاحة، أو وردة بوردة، وأنت لا تقارن وردة بتفاحة فلا تماثل بينهما، وهنا قوله: (ألا أخبركم برجالكم؟)، (ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟)، المقارن هنا: أن من النساء من تكون برتبة الشهيد أو برتبة الصديق أو ... على حسب عملها، ولكن أعلى مثل هو: المرأة التي إذا ظلمها زوجها أو أخطأ في حقها، ومع أنها مظلومة، ولكنها تصفح وتسامح وتتغاضى، وتأتي وتضع يدها في يده وتقول: والله لا أنام ولا أرى النوم حتى ترضى، وحتى تكون مسروراً. يا الله ما أجملها! لأنها انتصرت على شيطانها، الذي يأمرها بالثأر ويأمرها بالانتقام، وانتصرت على نفسها التي تأمرها بأخذ حقها لأن حظ النفس أمر عظيم، وانتصرت على المحاكاة العقلية التي تقول: بأنها المظلومة وهي صاحبة الحق وهي وهي ... وانتصرت على ما يُسمى عزة النفس، وأتت بقلب صافٍ مفعم بالحب، مفعم بالخير، مفعم بالحكمة والعقلانية ومرضاة الله، وتضع يدها في يده وتطلب منه أن يرضى مع العزم والتصميم.

إن هذه الإنسنة القوية على شيطانها وحظ نفسها وكل المؤثرات، لجديرة بأن تكون من أهل الجنة ومن مصافِّ الشهداء والصديقين والصالحين.

هذه المرأة تحظى بحب زوجها وحنانه واحترامه، ثم إنها بهذه السّجية وبهذه الحكمة تعود زوجها وتعلّم بناتها وتبني بيتها ويعرف زوجها حقها فيحبها ويحترمها ويجلّها، هي بذلك ربحت الدنيا والآخرة.

وهذه قصة جميلة: خطب عمرو بن حجر الكندي ابنة عوف بن ملحَم الشيباني وكانت تدعى أم إياس، فقبل عوف خطبة عمرو، ولما كانت ليلة دخوله بها، أتت أمها توصيها فقالت: أي بنية إنك مفارقة بيتك الذي خرجت منه، وعشك الذي درجت منه إلى رجل لم تعرفه، وقرين لم تألفه، فكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشرًا يكن لك ذخرًا:

أما الأولى والثانية: فالرضا والقناعة، وحسن السمع والطاعة له، وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب الريح، وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة: فالإحراز لماله، والإرعاء على حشمه وعياله، وأما التاسعة والعاشر: فلا تعصي له أمراً ولا تنفسي له سراً، فإنك إن خالفت أمره أو غرت صدره، وإياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً والكآبة لديه إن كان فرحاً.

وقيل: إن أسماء بن خارجة زوج ابنته فقال لها: إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، وصرت إلى فراش لا تعرفينه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمةً يكن لك عبداً، ولا ترجفي به (تخوفيه أو تقلقيه) فيقلبك (يكرهك)، ولا تتباعدي عنه فينساك، وإن دنا فاقربي منه، وإن نأى فابعدي عنه، واحفظي أنفه وسمعته وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً ولا يسمع منك إلا حسناً ولا يرى منك إلا جميلاً.

وقالت أم لابنتها: كوني له فراشاً يكن لك معاشاً، وكوني له وطاءً يكن لك غطاءً، وإياك والاكْتئاب إذا كان فرحاً، والفرح إذا كان كئيباً، ولا يطلعن منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح، ولا تنفسي له سراً لئلا تسقطي من عينه، وعليك بالماء والدهن والكحل فإنها أطيب الطيب.

قال الشاعر:

خُذِي الْعَفْوَ مِنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي      وَلَا تَنْطِقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَعْضَبُ

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى      ويأباكِ قلبي والقلوب تَقَلَّبُ

توفيت زوجة الإمام أحمد رضي الله عنها وعنه، وكانت تسمى أم صالح، فماذا قال الإمام أحمد عنها؟ قال: رحم الله أم صالح رافقتني ثلاثين سنة، والله ما اختلفت معها في كلمة واحدة. انتبه إلى ما قاله! قال: ما اختلفت معها في كلمة واحدة، لم يقل: إنها لم تختلف معي، بل قال: لم أختلف معها؛ أي: إنها

كانت دائماً على حق، وتقول الحق وتتحرى الحق، فكيف يختلف معها؟ إنها التقوى والخوف من الله تعالى أن تكون المرأة صادقة وفيّة تحب الحق وتنصر الحق وتتحرى الحق، كان دخل الإمام سبعة عشر درهماً في الشهر وكانت لا تكفيه هو وأولاده وزوجته، قال ابنه عبد الله: لبس أبي حذاء في رجله ثمانية عشر عاماً ليس معه ثمن حذاء جديد. هل كانت زوجته ساخطة متبرمة منه ومن فقره؟ إنها التقوى إنه الإيمان.

إن الزوجة المؤمنة تقول لزوجها حين يخرج من بيته: (اتق الله فينا ولا تطعمنا إلا حلالاً فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على النار).

أعود إلى كلام الله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ ﴾ [النساء: 1 / 4] - ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: 2 / 187] - ﴿ أَرْوَجًا لَيْسَ كُنُوزًا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: 21 / 30]، هل أعامل زوجتي معاملة الند والشريك؟ هل أنا لباس لها؟ وهل هي لباس لي؟ هل أسكن إليها؟ وأرتاح إليها؟ ولا أصدق متى أصل إليها؟ هل أنت السكن والملاذ وبيت الراحة لزوجك؟ أم أنه يفضل أصحابه واللعب بالورق أو السهر في المقهى الفلاني أو المكان العلاني؟

الحياة شراكة، وأخذ وعطاء، وحقوق وواجبات، ومودة ورحمة، وحب وحنان. ولا يوجد أجمل ولا أحلى ولا أبعد مما قاله الله تعالى -ويا حبذا لو فهمناه حقيقة وبعثت-: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: 2 / 187]، قال عليه الصلاة والسلام: «إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى في زوجتك» البخاري، وقال عليه الصلاة والسلام: «أطعم إذا طعمت، واكس إذا اكتسيت» ك؛ أي: أطعم زوجتك مما تأكل، وألبسها إذا لبست؛ أي: إذا اشترت لنفسك فاشتر لها. وعليك بالثقة بأهلك وعدم تخوينهم والشك فيهم وعدم مفاجأتهم إذا دخلت عليهم حتى يصلحوا من شأنهم، فلا ترى ولا تشم إلا الحسن والطيب منهم؛ فعن جابر رضي الله عنه: قال ﷺ: «نهى رسول الله أن يطرق الرجل أهله ليلاً» أي أن يُخَوَّنَهُنَّ أو يلتمس عثراتهن. رواه مسلم، قال:

«شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها» مسلم، قال عليه الصلاة والسلام: «أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجة لا تبغيه حوباً في نفسها وماله» الطبراني، (الحوب): هو الإثم. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من رزقه الله امرأةً صالحه فقد أعانه الله على شطر دينه فليتيق الله في الشطر الباقي» طس، البهقي، والحاكم وصححه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتب يريد الأداء، والناكح يريد العفاف» ت - حب - ك، وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» ت - جه - ك.

اللهم بارك لنا في أزواجنا وبارك لنا في زوجاتنا، اللهم بارك لنا وبارك علينا، اللهم اجعل بيننا مودة ورحمة، اللهم خذ بيدنا حتى ننشئ أسرة مسلمة ترضى عنها، اللهم ارزقنا الذرية الصالحة، اللهم اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي، ربنا وتقبل دعاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

